الذين ما زلتم على قيد الحياة ، صلوا الى الله ان يبارك حكومتنا وقيصرها ، صلوا كي يستطيع الجيش الذي يحب المسيح ان ينتصر على كل اعدائه الظاهرين والمستترين ، صلوا اليه كي يدين المطران الخائن بيمين ومستشاريه الفاسدين الذين كانوا سببا في سيلان الدماء . ولتكفوا عن العويل والبكاء وانسوا ما تسببتم به من شر !. عيشوا في رخاء !. وها انذا تارك لكم حاكمي الجديد الأمير بطرس دانييلوفتش برونسكي . والآن عودوا الى منازلكم بسلام ! » .

وهكذا انتهى عقاب نوفغورود ڤيليكي . وتلك صفحة من التاريخ ليس لها ما يماثلها في تاريخ أوروبا كلها . ويقال إن ستين ألفاً من السكان قد هلكوا . وكتب كوربسكي أن القيصر قتل في يوم واحد خمسة عشر الف انسان . اما توب وكوز — وهما المانيان كانا يعيشان في البلاط ، فيقولان إن الرقم كان سبعة وعشرين الفاً ، ولكن الآلام والموت لا يمكنها ان تتجمع لتشكل رقماً يفهمه العابر المحايد . ولو أن احداً لم يقم بأي إحصاء فإن الهول الذي سببته هذه الأعمال سيبقى على ممر العصور .

عندما غادر إيڤان الرهيب نوفغورود بدا متعباً . ومع ذلك تابع طريقه ليكرر في بسكوف ما فعله في اختها . ولم يكن جيشه قد تعب من المذابح والانتهاب . وعندما وصل القيصر وعصاباته الى تخوم المدينة كان الرعب قد شل سكانها ، اما القيصر من ناحيته فكان متعباً او مشفي الغليل . وقد قضى الليل في دير القديس نقولا خارج بسكوف بينما لم يغمض لسكان المدينة جفن وهم يقضون ليلتهم بالصلاة منتظرين الصباح. وفي منتصف الليل أخذت اجراس الكنائس تدق ، فاستيقظ القيصر وتقلب في فراشه واصغى : « إنهم يصلون لينقذوا انفسهم من غضب القيصر » . هكذا غمغم في نفسه . واعجبته الفكرة ودغدغت غروره فتأثر بها وقرر تجنيب السكان هول العذاب . وعندما دخل المدينة في اليوم التالي استقبله السكان وهم راكعون .

* * *